(4)

شجرة النيل

كأنهما ولدا من بطن واحدة،
هي شجرة تحمل في عروقها كل وداعة النيل .. وهو بغل يحمل بين ضلوعه كل صبر الإنسان ..
كأنا متآلفان للزمان والمكان .. هي ترخي أغصانها حتى تلامس النيل ، وهو يدور وتظل الدائرة المرسومة مجال حركته ..
مرة قرر البغل أن يتمرد ، خاطبا نفسه قائلا أعمل في اليوم الواحد أكثر من نصفه .. أتحمل الجوع والعطش ولا أشتكي . أتحمل لسع عصا سيدي ولا أحتج .. صحيح أن الدوران أصبح عندي عادة ولكن لماذا يغمضون عيني أثناء العمل؟
ألهذا الدرجة لا يثقون بي؟!
آنا كذلك لن أعد أثق بهم ..!!
وبينما هو يخاطب نفسه إذ به يسمع هذا الحوار بين أب وأبنه يقفان بالقرب منه .
سأل الولد : لماذا يضعون
يا وألدي عصابة سوداء على عيني البغل عندما يدور حول الساقية؟
رد الوالد : ليشتغل أكثر يا ولدي فإذا فتحوا عينيه علي الحياة سيتلهى ، وبالتالي سيقل مردود عمله!
لم يعد أي شيء مخفيا، كل الأشياء أصبحت مكشوفة أمام البغل وفي ليلة حالكة السواد ، حول قراره إلي تنفيذ . فبعد أن تأكد من غفوة سيده .. جر نفسه دون أن يترك أي صوت، وأنسحب ..

كانت تدور في ذاكرته جملة موجودات عاش معها ، وبكى لأنه لا يستطيع وداعها .
وفي اللحظة التي شرع بها مغادرة القرية ، شعر بأن قوة هائلة تقوده لرؤية الساقية الذي كان يعمل عليها ، ورؤية شجرة النيل التي كانت ترافقه في وحدته .
أقترب من الساقية ، فكانت بقايا قطرات الماء تتساقط من خلال سطوله المهترئة .. نظرت
إليه صامتة ، لكن الساقية كانت غارقة في حزن قاتل فقد أفجعتها في هذا اليوم الحوار الذي سمعته بين الأب وأبنه .
سأل الولد : يا وألدي لماذا لا يتم إصلاح سطول الساقية لتجر آليهم مياها أكثر؟
ورد الوالد : يا بني آنهم لا يفكرون سوي بالمحاصيل .. !!
أشاح البغل نظره عن الساقية ، وعلق سطوله علي شجرة النيل .. كانت الشجرة ترخي أغصانها بمرارة ، بينما الأسى يكاد يتسرب من جذعها .. كانت مقهورة ، فطر قلبها الحوار الذي سمعته بين الأب وأبنه . سأل الولد : يا وألدي لماذا يقطعون شجرة النيل؟
أن شكلها وديع !
رد الوالد : لآنها لا تقاوم ياولدي، فهي شجرة عزلاء ! قال الولد : ولكن لماذا لا تصرخ طالبة النجدة؟
قال الوالد : لا فائدة ياولدي، حتى لو صرخت فان صوتتها لن يسمع
لم يعد البغل قادرا علي تحمل منظر الساقية وأرخى ساقيه للريح ومضى في أرض الله . ورغبة كبيرة تدور في رأسه ،

أنه لن يقبل مطلقا بإغماض عينيه .
تنقل في البلاد ، رأى مزارع ووديان ، صعد جبالا ومشى في سهول . شاهد عمارات وطوابق ، ومازالت عيناه مفتوحتين . كان قلبه

مفتوحا لكنه الأن أمتلأ . . أصبحت بقايا بقع الصبر التي يحملها في داخله ، نقطا هزيلة .. ومازالت عيناه مفتوحتين يرى بهم كل شيء رأى .. رأى .. ورأى ، وأخيرا قرر الخلاص لم ينتحر كعادة الرجال أثناء تعرضهم للمصائب العظيمة : إنما قرر الرجوع الى قريته وهو يخاطب نفسه

" أحيانا يكون العمى أفضل من رؤية الحقيقة "

صل إلى قريته بعد رحلة طويلة، فتوجه على الفور إلى الساقية وشجرة النيل ..

كان يعتقد بعد هذا الفراق الطويل، أن شكل العالم حولهم قد تغير، لكنه فجع ..

لقد أكتشف أن الساقية مازالت كما هي لم تتغير فيها سوى كثرة الثقوب التي كادت أن تملأ سطوله أدار النظر على مكان شجره النيل، فصعق .. لم تكن الشجرة موجودة ..

سئل الساقية عنها ، فردت حزينة وهي تقول " مسكينة شجرة النيل ، أرادت أن تتمرد علي قاتلها فشدت جذعها عندما هوى بفأسه عليها لكنه بكل بساطة أخرج مبردا وراح يسن به فأسه، حتى أصبحت أشعة الشمس تتكسر عليها وقبل أن يهوى به علي جذعها كانت شجرة النيل، قد سقطت جثة هامدة " مادام الموت محتما، فالأفضل أن تختار أقصر الطرق .. "

وكأنهما ولدا من بطن واحدة ، وهى تحمل في عروقها كل الخوف .. وهو يحمل بين أضلاعه كل الذل ..!!

كأنا متآلفان للزمان والمكان، هي ترخي أغصانها حتى تقبل الأقدام .. وهو يدور ويدور ، وكأنه يريد إن يثبت كروية الأرض .